

القوة الإنجازية للتعجب القياسي في الخطاب القرآني

-دراسة تداولية-

Illocutionary force of standard exclamation in Quranic discourse

-Pragmatic study-

إبتسام بن خراف

نورة بومخيلة *

مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة

مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة

جامعة باتنة 1

جامعة باتنة 1

ibtisssem.benkheraf@univ-batna.dz

nora.boumkhila@univ-batna.dz

تاريخ القبول: 2025-11-30

تاريخ الإرسال: 2025-10-07

ملخص:

يطمح المقال إلى كشف القوة الإنجازية للتعجب القياسي في القرآن الكريم من خلال فرش نظري لنظرية أفعال الكلام لأوستين وسيرل مروراً بالمفاهيم الدلالية للفعل الكلامي في التراث العربي الإسلامي، وصولاً إلى استثمار هذه المفاهيم بغية بيان القوة الإنجازية الحرفية والمستلزمة للتعجب القياسي المبثوث في أي الذكر الحكيم.

توصلت الدراسة إلى أن التعجب القياسي لا يقتصر على كونه انفعالا عابرا، بل يتمظهر بقوى إنجازية مستلزمة كالتهديد والإنكار مما يحمل المتلقي على الإذعان والتفكير قبل فوات الأوان. الكلمات المفتاحية: قوة إنجازية؛ أفعال الكلام؛ تعجب قياسي؛ تداولية.

Abstract:

The study aspires to uncover the illocutionary force of the standard exclamation in holy Quran through a theoretical review of Austin and Searle's speech act theory, passing through the semantic concepts of speech acts in Arab-Islamic heritage, and then applying these concepts to demonstrate the literal and implied illocutionary force of standard exclamation in the verses of the holy Quran.

Ultimately, the finding revealed that a standard exclamation is not limited to being a transient emotion, but is manifested with an inherent illocutionary force such as threat and denial, which forces the recipient to comply and reflect before it is too late.

Keywords: illocutionary force, speech acts, standard exclamation, pragmatics

*- المؤلف المراسل.

يندرج التعجب القياسي ضمن ما يُعرف بالإنشاء غير الطلبي، وهو أسلوب بلاغي يكشف ما يختلج بداخل صاحبه من مشاعر استغراب وإنكار ودهشة، إلا أن هذا الأخير كان محلّ جدل حول إنشائيته وخبريته، ممّا جعله محلّ نقاش وخلاف بين العلماء، بيد أن كثيرا من العلماء ومن بينهم محمد بن علي الجرجاني أكد أن هذه الأفعال لا تحتل الصدق أو الكذب، وقد تمّظهر التعجب القياسي في الخطاب القرآني في مواطن محدّدة تعدّ على الأصابع، بخلاف التعجب السّماعي.

لقد أولت التّدالويّة اهتماما كبيرا لنظرية أفعال الكلام التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالمقاصد والسيّاق وتأثيرهما في عمليتي إنتاج الخطاب وتأويله، حتّى عرفت التّدالويّة بأنّها دراسة أفعال الكلام، أو دراسة قصد المتحدث، وبما أن التعجب القياسي فعل كلامي، فهو ذو طبيعة إنجازيّة، غرضه إحداث تغيير في الواقع مع التأثير في المستمع، وتكمن سلطته وقوّته في تكليف المستمع (المتلقي) بإنجاز فعل ما أو تركه.

ولبيان ذلك اعتمدت الدّراسة المنهج الوصفيّ لتجلية أهمّ الملفوظات التي تنطوي ضمن مسعى التعجب القياسي، والمنهج التّدالويّ من خلال إبراز القوّة الإنجازيّة للتعجب القياسي

إن هذه الدّراسة تهدف إلى إمطة اللّثام عن القوّة الإنجازيّة للتعجب القياسي في الخطاب القرآنيّ مستفيدة من نظريّة الأفعال الكلامية لأوستين وسيرل على وجه الخصوص، مع ما تمخّض من بحث في الدّرس اللّسانيّ العربيّ الإسلاميّ.

إنّها تنشأ الإبانة عن قيمتها الإنشائيّة، ومن ثمّ تؤكّد أنّها فعل كلاميّ تنطوي فيه قوى إنجازيّة مستلزمة ملائمة للمقام وموفية بحقّ الحال، ومن ثمّ فهي تسعى إلى الإجابة عن الآتي:

- إلى أيّ مدى يمكن استثمار نظريّة الأفعال الكلاميّة لإبراز القوّة الإنجازيّة للتعجب القياسي في القرآن الكريم؟

- ما القوّة الإنجازيّة المحقّقة من خلال هذه الأفعال الكلاميّة؟

1- الأفعال الكلامية من منظور "أوستين" و "سيرل"

1-1 أطروحة أوستين في نظرية الأفعال الكلامية:

كتاب "كيف نُنجز الأشياء بالكلمات **How to do things with words** " الذي صدر سنة 1962م هو حوصلة لمقالات عديدة، كانت في أصلها محاضرات ألقاها "أوستين" على طلبة جامعة هارفارد عام 1955م، ضمّنها نظريته حول الأفعال الكلامية، حيث عدّ "أوستين" من الأوائل الذين اهتموا بنظرية الأفعال الكلامية.

إن أطروحة "أوستين" - بشكل عام- قائمة على مُعارضة فلاسفة اللغة الوضعيين وما جاءوا به - جعل الأقوال الوصفية (الخبرية) محلّ الدِّراسة والتحليل - فنجدّه قد سلّط الضّوء على الجانب الاستعماليّ طبقاً لما يتماشى ومقامات التّخاطب بقوله "موضوع الدِّراسة ليس الجملة، وإنّما إنتاج التّلفظ في مقام الخِطاب"¹، فاللّغة من منظوره ميدان نُنجز فيه أعمالاً، وقد نوّه جون ليونز إلى هدف أوستين في قوله: "لقد كان هدف أوستين في البداية على الأقلّ أن يتحدّى ما كان يُعتبر مغالطة وصفية... كان أوستين يتّهجم على رأي عالم التّحقّق المرتبط بالفلسفة الوضعية المنطقية التي تفيد أنّ الجمل تكون ذات معنى فقط إذا كانت تعبر عن قضايا يمكن التّحقّق منها أو تفنيدها"²، لذلك نجد "أوستين" قد انشغل بالإجابة عن السّؤال: ماذا نفعل عندما نتكلّم؟ ومن هنا رأى "أوستين" أن الفعل الكلاميّ مركّب من ثلاثة أفعال تعدّ جوانب مختلفة لفعل كلاميّ واحد وهي:³

1-الفعل اللفظي (فعل الكلام) **Acte locutoire**: ويراد به تركيب الألفاظ في جمل

مفيدة طبقاً للأفعال الفرعية الثلاثة وهي: الفعل الصّوتيّ، والفعل التّركيبيّ، والفعل الدّلاليّ.

¹- John Langshaw Austain, (1970). Quand dire c'est faire. Traduction Dgille LANE. Post face de francois. Recanati. Edition du Seuil. Paris. p143

²- جون ليونز، (1987) اللّغة والمعنى والسّياق، ترجمة عباس صادق الوهاب، ط1، دار الشّؤون الثقافيّة العامّة، بغداد، العراق، ص 191.

³- John Langshaw Austain, (1970). Quand dire c'est faire, Traduction Dgille LANE, Post face de François. Recanati, Edition du Seuil, Paris, p 101-108

2- فعل الإنجاز (قوة فعل الكلام) *Acte illocutoire*: هو إنجاز فعل في حال قول شيء ما مع مراعاة مقتضى الحال.¹

3- الفعل التّأثيريّ (لازم فعل الكلام) *Acte perlocutoire*:² هو الأثر الذي يخلّفه فعل القول أو الإنجاز على المُخاطَب، وهو ما يظهر عادة في ردّة فعله، مثل حثّه على القيام بفعل أو حثّه على الخوف أو الضّحك أو الحزن، لذا يختصّ هذا الفعل بالمخاطب.

وحسب "أوستين" فالفعل الإنجازيّ هو المفهوم المحوريّ والمركزيّ في نظريّته، أو هو قوّته الإنجازيّة وعلى أساسها تمّ تصنيف الفعل الكلاميّ إلى خمسة أصناف هي:³

- أفعال الأحكام (*Les verdictifs*): تتمثّل في حكم يُصدره قاضٍ أو حاكم.
- أفعال القرارات (*Les excertifs*): تتمثّل في اتّخاذ قرارات كالّتعيين، والعزل، والطرد، وغيرها.
- أفعال التّعهد (*Les promissifs*): تتمثّل في ما يقطعه المتكلّم على نفسه من عهود ووعود.
- أفعال السّلوّك (*Les comportatifs*): تتمثّل في ما يكون من ردّ فعل لحدث ما كالاعتذار، والتّعاقد والقسم.
- أفعال الإيضاح (*Les expositifs*): تتمثّل فيما يستخدم لأجل الإيضاح، أو بيان وجهات الرّأي.

2-1 أطروحة سيرل في نظريّة الأفعال الكلاميّة:

أطروحة "سيرل" (المولود سنة 1932م) مبنيّة على أطروحة أستاذه "أوستين"، إلا أنّ "سيرل" أعاد صوغها في نظريّة محكمة تتّسم بالنّضج والضّبط المنهجيّ من خلال ما أضافه، وفيما يأتي بيان لذلك:¹

¹- أوستين، (1991)، نظرية أفعال الكلام الغائية: كيف نجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قنيني.

دط، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ص16.

²- المرجع نفسه، ص121.

³- John Langshaw Austain, (1970), Quand dire c'est faire, Traduction Dgille LANE, Post face de francois Recanati, Edition du Seuil, Paris, p 109-114.

1- إجراء تعديل على تقسيم أستاذة للأفعال الكلامية، فنجدته قد قسم فعل الكلام إلى:

- فعل التَلَفُظ: يضمُّ كلاً من الفعل الصَّوْتِيَّ والتَّركيبيَّ عند أوستين.
- الفعل القضويّ: ما يعادل الفعل الدلاليّ الذي كان جزءاً من فعل القول في تصوّر أستاذة، إلاّ أنّه عند سيرل يشكّل فعلاً مُستقِلاً عنه.
- فعل الإنجاز: الفعل الذي يحقّق القصد المعبر عنه في القول، والذي قد يكون إخباراً أو استفهاماً أو أمراً.
- فعل التّأثير: وفيه يتفق مع أستاذة أوستين.

2- تمييز سيرل بين العمل الكلامي المباشر والعمل الكلامي غير المباشر:

- العمل الكلامي المباشر "هي الأقوال التي يتطابق فيها معنى الجملة ومعنى القول تطابقاً تامّاً، فالقول في نظر "سيرل" هو شكل من السلوك الاجتماعيّ الذي تضبطه مجموعة من القواعد، وبهذا نخلص إلى تعريف "سيرل" للأفعال المباشرة بقوله: «هي الحالات أين يمكن للمتكلّم التلفظ بقول ويراد منه ما صرّح به»²

- العمل الكلامي غير المباشر: «هي الحالات التي يكون فيها معنى القول مخالفاً تماماً وبطرق وكيفيات مختلفة»³، أي أن مقصود المتكلّم يخالف ما صرّح به.

3- للقوّة الإنجازيّة دليل يُدعى دليل القوّة الإنجازيّة، الغرض منها إظهار نوع العمل الإنجازيّ الذي يؤدّيه المتكلّم عقب نطقه الجملة.

- 4- تطويره شروط الملاءمة؛ إذ جعلها أربعة، وهي: شرط المحتوى القضويّ، والشرط التمهيديّ، وشرط الإخلاص، والشرط الأساسيّ، وعن طريقها جميعاً يتسوّى التمييز بين الأعمال الكلاميّة المختلفة.

5- إعادة سيرل تصنيف الأفعال الإنجازيّة وجعلها خمسة أصناف تتمثل في:

¹- ينظر: محمود أحمد نحلة(2006)، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ص 47- 51.

²- ينظر: Searl, (1982) Sens et expression, Etudes de théorie des actes de langage, ed Minuit, Paris, p 71.

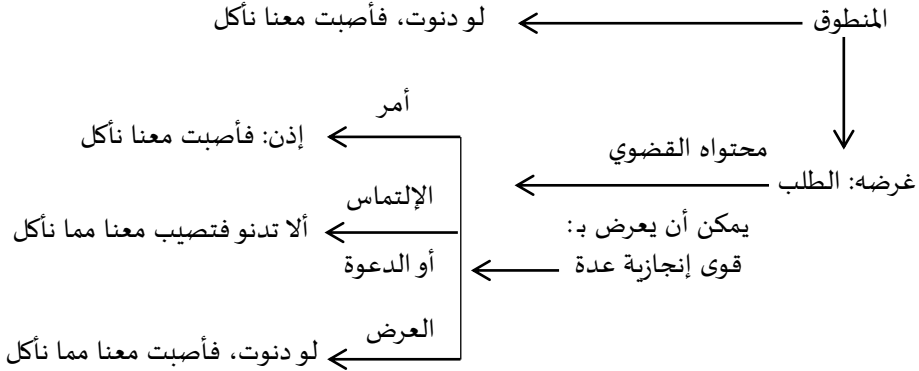
³-Ibid, p 71.

- التّقريريات (LES ASSERTIFS): الغرض منها وصف واقعة معيّنة من خلال قضيّة، وتتميّز باحتمالها الصّدق والكذب، وباتّجاه المطابقة فيها من القول إلى العالم، بحيث يكون القول مُطابقاً للوقائع الموجودة في العالم الخارجيّ، فضلاً عن تميّزها بالصّدور عن حالة نفسيّة معبر عنها بالاعتقاد.
 - الطّلبات (LES DIRECTIFS): الغرض منها حمل المُخاطب على أداء فعل أو عمل معيّن، ويكون اتّجاه المطابقة فيها من العالم إلى القول.
 - الوعديات (LES PROMISSIFS): الغرض منها أن يلتزم المتكلّم بالقيام بعملٍ ما في الزّمن المستقبل، ويكون اتّجاه المطابقة فيها من العالم إلى القول، شأنها في ذلك شأن الطّلبات.
 - الإفصاحيات (LES EXPRESSIFS): الغرض منها التّعبير عن حالات نفسيّة انفعاليّة تجاه الوقائع الخاصّة التي تمثّل مضمون القول، ولا تطابق في هذه الأعمال.
 - التّصريحيات (LES DECLARATIFS): الغرض منها إحداث تغيير في العالم الخارجيّ ويكون اتّجاه المطابقة فيها مزدوجاً: من القول إلى العالم، ومن العالم إلى القول.
- نلاحظ أن "سيرل" اعتمد في أطروحته على ما جاء به أستاذه "أوستين"، مع سدّ بعض الثّغرات المفاهيميّة، وإضافة ما يكملها من تقسيمات وتعريفات أكثر توضيحاً.

2- مفهوم القوّة الإنجازيّة

- مفهوم القوّة الإنجازيّة متّصل العرى بنظريّة أفعال الكلام، فدلالة جمل اللّغات الطّبيعيّة تشمل¹:
- مُحتواها القضويّ: وهو مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض، وقوّةها الإنجازيّة، إذ تعدّ قوّة المنطوق الإنجازيّة جزءاً من نسبته الدّلالية، والمثال الآتي يوضّح ذلك:

¹ ينظر: أحمد المتوكل، (1986)، دراسات في نحو اللغة العربيّة الوظيفي، دار الثقافة، الرباط، ص105.



الرّسّيمة أعلاه توضّح أنّه يمكن لغرض إنجازيّ واحد وهو الطّلب أن يُعرض بقوى إنجازيّة مختلفة، وهذا ما يؤكّد أن القوّة الإنجازيّة خاصيّة المنطوقات لا الجمل.

فالقوّة الإنجازيّة إذن هي (الشّدة أو الضّعف اللّذان يعبرّ بهما عن الغرض الإنجازيّ في موقف اجتماعيّ معيّن، أيّا كان هذا المؤشّر أو العلامة الدّالة على تلك القوّة)¹

والقوّة الإنجازيّة بدورها تنقسم إلى قسمين:²

القوّة الإنجازيّة الحرفيّة: هي القوّة الإنجازيّة المعبرّ عنها في الجملة بالتّنغيم أو بأداة أو بصيغة الفعل، أو بزمرة من الأفعال الإنجازيّة: أي هي التي تستخلص مباشرة من العبارة اللّغويّة.

أمّا القوّة الإنجازيّة المُستلزمة: هي القوّة التي تستلزمها الجملة في طبقات معينة: أي أنّها التي تتولّد عن القوّة الإنجازيّة الحرفيّة طبقاً لمقتضيات مقامات معينة، فهي لا تظهر في البنية السّطحيّة للقول، بل تُستشف من مُلابسات السّياق وظروفه.

¹ - ينظر: علي محمود حيي الصراف، (2010) في البرجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، ط1، مكتبة الآداب، مصر، ص267.

² - ينظر: أحمد المتوكل، (1993)، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، دار الهلال العربية، ص21.

والأمر الذي يميّز عادة بين هاتين القوتين هو كون القوة الإنجازية الحرفية ملازمة للعبارة اللغوية في مختلف المقامات التي ترد فيها، بينما القوة الإنجازية المستلزمة فهي مرتبطة مقامياً بحيث لا يتم توليدها إلا في طبقات مقامية معينة، ويتوصل إليها عبر عمليات ذهنية استدلالية¹.

والملاحظ أنّ أوستين "Austin" وسيرل "Searl" اختلفا في مفهوم القوة الإنجازية، فيرى أوستين أنّ القوة الإنجازية تحقيق لمقصد المتكلم تحقيقاً ناجحاً، بينما سيرل "يرى أنّ القوة الإنجازية حاصل تفسير المُتلقّي للمنطوق"².

ويؤكد سيرل "أنّ الفعل الحقيقي هو الفعل الإنجازي الذي يتضمنّ قوة إنجازية أو هو القوة الإنجازية ذاتها، فاهتمامه وتركيزه ينصبّ على القوة مع الإلحاح على تعيين مؤشر هذه القوة"³.

هذه قراءة موجزة عن نظرية الأفعال الكلامية في الدرس الغربي الحديث- من منظور أوستين وسيرل- وفيما يأتي بيان لملاحظاتها وتجلياتها في التراث اللساني العربي الإسلامي.

3- المفاهيم الدلالية للفعل الكلامي في التراث العربي الإسلامي

نظرية الفعل الكلامي مبثوثة في تراثنا العربي الإسلامي ضمن موضوع (الخبر والإنشاء) عند العرب نحاة وبلاغيين وأصوليين وفلاسفة، إذ انصبّ الأمر عندهم على التمييز بين الخبر والإنشاء ف «هي ثنائية محورية في النظرية الدلالية التراثية... تتمركز على مفهوم الأعمال اللغوية»⁴.

لقد أولى النحاة اهتماما كبيرا بالكلام الذي يُعقد بين المتكلم والمخاطب، وذلك من خلال إشارتهم الدقيقة إلى الترابط بين أسلوب الكلام وإبلاغيته وتداوليته، لكن المصطلح

¹- ينظر: المرجع نفسه، ص21.

²- أحمد كروم، (2015)، مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي، ط1، كنوز المعرفة، عمان، ص139.

³- ينظر: مسعود صحراوي (2023)، القوى الإنجازية عند ج. سيرل: بنيتها ومنهج تطبيقها، مجلة تداوليات، جامعة عمّارثليجي، الأغواط، المجلد1، العدد 1، ص7.

⁴- خالد ميلاد، (2001)، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، ط1، جامعة منوبة، ص30.

لم يُذكر، بُدّ أنّهم تناولوه بالبحث والتحليل في باب الخبر والإنشاء، ابتداء من سيبويه إلى المتأخرين منهم.

أما علماء أصول الفقه فقد درسوا ألفاظ العقود والمعاهدات وما يقتضيه من تشريعات اجتماعية وسياسية، والقوى الإنجازية لتلك المواضع القولية وشروط أحكامها، ومن ثمّ فقد استنبطوا أفعالا كلامية جديدة ضمن بحثهم لمعاني الخبر والإنشاء، مثل (الإذن، والإباحة...)، كما تميّز الفلاسفة من أمثال الفرائي وابن سينا وغيرهم بدراسة التراكيب الخبرية بعد تمييزها عن الإنشاء وتمييز حدود كل منهما.

أما عند البلاغيين، فيظهر مفهوم أفعال الكلام في حديثهم عن الطلب وتقسيماته ولاسيما إمكان حصول الطلب وعدمه.

لا يخفى أنّ العلماء قديما تباينوا في تقسيم الكلام على أقوال كثيرة، لعلّ أقواها: القسمة الثنائية المتمثلة في الخبر والإنشاء، أمّا مصطلح الإنشاء فلم ينل قدرا من الحفاوة في مُصنّفات الأولين، إذ كان الطلب قسيما للخبر، فلا تجد للإنشاء حضورا في كتب البلاغة. فقد عبّر أغلبهم عنه بمصطلح الطلب، باستثناء بعض منهم أمثال: "نجم الدّين الكاتبي" (ت 490هـ) "الذي وُفق في دقة استخدامه"¹، بيد أنّ محمّد بن عليّ الجرجانيّ قد وُفق في إداعته بين الدّارسين في قوله: "الإنشاء: كلام لفظه سبب لنسبة غير مسبوقه بنسبة أخرى"²، والملاحظ أنّ مصطلح الإنشاء لم يستو على سوقه منذ بادئ الأمر، فاستعمل أولا بمفهوم الإيقاع للمعنى في الخارج باللفظ وتنهض به صيغ العقود، كقول رضي الدّين الإسترابادي في معرض حديثه عن قيود الإسناد "...وقولنا: أو في الأصل ليشمل الإسناد الذي في الكلام الإنشائيّ، نحو: بعثُ وأنت حرّ، وفي الطلبيّ، نحو: هل أنت قائم...وكذا نحو اضرب، لأنّه مأخوذ من تضرب بالاتّفاق، وقياسه لتضرب بزيادة حرف الطلب قياسا على سائر الجمل الطلبيّة"³.

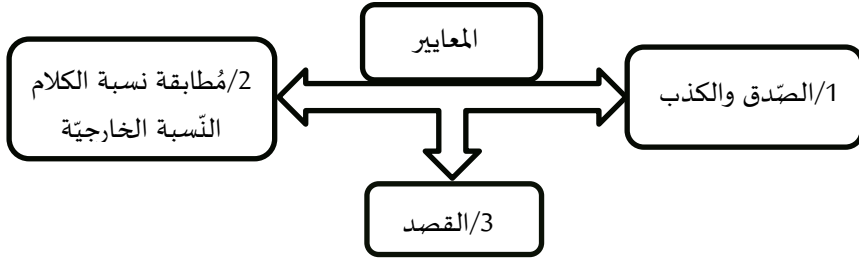
¹ ينظر: قطب الدّين الرّازي، (1948م)، تحرير القواعد المنطقية في شرح الرّسالة الشّمسية، ط2،

مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ص42

² ينظر: الجرجاني، (1423هـ- 2002م)، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، علّق عليه ووضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدّين، ط1، دارالكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ص86.

³ ينظر: الاسترابادي، (1415هـ- 1995)، شرح الكافية في النّحو، دارالكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ص1-9.

ثم استقرّ الإنشاء مقابلًا للخبر، يتمّ التمييز بينهما بناء على ثلاثة معايير، لعلّها الأكثر شيوعاً في مصنفاتهم، نذكرها في المخطّط الآتي:



وتجدر الإشارة إلى أنّ البلاغيين أعرضوا صفحا عن دراسة الإنشاء غير الطلبيّ وهو الذي لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب¹. ويتحقّق وجود معناه في الوقت الذي يتحقّق فيه وجود لفظه.²

وجزاء هذا رسمت له صورة قاصرة عن الإيفاء بمطالبه وحجّتهم في ذلك (أنّه ليس ممّا تتوارد عليه المعاني فتجعله من الأساليب الثريّة ذات العطاء والتأثير)³ أو (...لقلّة المباحث البيانيّة المتعلّقة به، ولأنّ أكثرها في الأصل أخبار نُقلت إلى معنى الإنشاء)⁴ ونتيجة لهذا الإعراض ضاع زخم من أساليب العربيّة وأسرار نظم العربيّة.

ويرى محمود أحمد نحلة أنّ منطلق التّفكير في هذه النّظريّة عند أوستين وعند العلماء العرب واحد، وهو أنّ من الكلام ما لا واقع له يطابقه أو لا يطابقه، ولا يوصف

¹ ينظر: بدوي طبانة، (1977)، معجم البلاغة العربيّة، ج2، ط1، منشورات كليّة التّربيّة بجامعة طرابلس، ص621.

² ينظر: فضل حسن عباس، (1409هـ-1989م)، البلاغة فنونها وأفنانها، سلسلة بلاغتنا ولغتنا 1، ط2، دار الفرقان، عمان، الأردن، ص1-10.

³ ينظر: محمد محمد أبو موسى، (1408هـ-1987م)، دلالات التراكيب، دراسة بلاغيّة، مكتبة وهبة، ط2، القاهرة، ص19.

⁴ ينظر: سعد الدين التّفّازاني(د.ت)، مختصر على تلخيص المفتاح، ضمن شروح التلخيص، ج2، عيسى البابي الحلبيّ، مصر، ص236.

بصدق ولا كذب، ووصلوا إلى الفكرة المركزية التي كانت المنطلق إلى وضع هذه النظرية، وهي أنّ من الكلام ما يكون فعلاً أو إيقاعاً لفعل بلفظ يُقاربه في الوجود.¹

في حين إذا أردنا البحث عن القوة الإنجازية الحرفية والمستلزمة- وهي موضوع بحثنا- باصطلاح سيرل، نلتقي بـ "أبي يعقوب السكاكي" خير من سلّط الضوء على هذه المسألة (كيفية الانتقال من المعاني الأول إلى المعاني الثواني)، إذ نجده يقول «والسابق في الاعتبار في كلام العرب شيئان: الخبر والطلب المنحصر في الأبواب الخمسة... وما سوى ذلك نتائج امتناع إجراء الكلام على الأصل»².

وفي موضع آخر يقول: «متى امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل تولّد منها ما ناسب المقام»³. من هذه العبارة نستنتج أن امتناع إجراء هذه الأبواب على الأصل معناه أن الفعل الكلامي خرج إلى قوة إنجازية مستلزمة غير مباشرة يلعب المقام دوراً في استخلاصها؛ لأنّها ليست على أصل الذي وُضِعَ له.

وسنشرع الآن في استثمار بعض من إجراءات هذه النظرية وفق طرح "سيرل" في نماذج مُحدّدة مُستخلصة من الخطاب القرآني.

4- القوة الإنجازية الحرفية والمستلزمة للتعجب القياسي في القرآن الكريم

1-4- تعريف التعجب:

- التعجب لغة: جاء في لسان العرب: «عجب، العُجْبُ والعَجَبُ: إنكار ما يرد عليك لقلة اعتياده»⁴

- اصطلاحاً: «استعظام فعل فاعل ظاهر المزيّة، بسبب زيادة فيه خفي سببها، بحيث لا يُتَعَجَّب ممّا لا زيادة فيه، ولا ممّا ظهر سببه»¹

¹ ينظر: محمود أحمد نحلة (2006)، مرجع سابق، ص 97

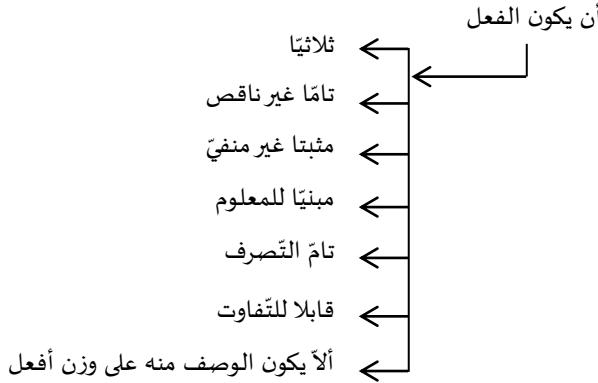
² أبو يعقوب السكاكي. (2000)، مفتاح العلوم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص164.

³ المرجع نفسه، ص304.

⁴ جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، (1921)، لسان العرب، دار الجيل ودار لسان العرب، بيروت، لبنان، مادة "عجب".

والملاحظ ممّا سبق أنّ التعجب انفعال نفسيّ مرّده الإنكار أو ما خفي عنّا سببه.

أمّا كلمة القياسيّ في قولهم (التعجب القياسي) فإنّه يُقصد بها الصيغتان (ما أفعله، وأفعل به)، التي وضعها الصّرفيّون لتدلّ بلفظها ومعناها على التعجب، وقد اشترطوا لهاتين الصيغتين ما يأتي:



وفي حال اختلّ شرط واحد فقط، فلا يصحّ التعجب منه مباشرة، وإنّما يُتعجب منه بواسطة.²

لقد ورد في الذّكر الحكيم التّعجب القياسيّ في مواضع تعدّد على الأصابع، والتّعجب القياسيّ ينطوي ضمن ما يسمى التّعبيرات (les expressifs) وهي النّوع الثّالث من أصناف الأفعال الكلاميّة عند سيرل، إذ تَهْدِف إلى التّعبير عن حالة سيكولوجيّة خاصّة، غرضها التّعبير عن المشاعر والأحاسيس.

ونسوق فيما يأتي الآيات التي تحمل دلالة التّعجب القياسيّ، ونسعى إلى استنطاق قواها الإنجازيّة الحرفيّة منها والمستلزمة.

¹ - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، (1955)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج2، ط1، دار الكتاب العربي، لبنان، ص 363.

² - مصطفى الغلاييني، (2008)، جامع الدّروس العربيّة، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ص 44.

2-4- التّعجب من الانفعال والإنكار إلى تنزيل غير الواقع منزلة الواقع:

قال تعالى: [أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار] سورة البقرة الآية: 174

ورد ملفوظ التّعجب القياسي بصيغة ما أفعله، وأسلوب التّعجب هنا هو أنسب الأساليب للتعبير عن حالة نفسية تتمثل في الدهشة، كما لا يخفى أن صيغة التّعجب هنا فيها رائحة الإنكار بادية ظاهرة، ولو ورد أسلوب آخر لما وقي بحق المقام، وذلك لما تفيدته هذه الصيغة من الإنكار لظهور فعل مُثير للدهشة، لكن المتأمل للآية يكتشف أن الكفار لم يتذوقوا عذاب النار، فأنتى للمتعبّ أن يتعبّ من صبرهم، وهل يصبر الكفار على النار؟ هنا تتجلى وتكشف قوة إنجازية مستلزمة للتعبّ، والتي تتجاوز مجرد الإنكار إلى تنزيل غير الواقع منزلة الواقع، يقول ابن عاشور (وقوله: [فما أصبرهم على النار] تعجب من شدة صبرهم على عذاب النار، وكما كان شأن التعجب أن يكون ناشئا عن مشاهدة صبرهم على العذاب، وهذا الصبر غير حاصل وقت نزول هاته الآية، بنى التعجب على تنزيل غير الواقع منزلة الواقع... وهذا من طرق جعل المحقق الحصول في المستقبل بمنزلة الحاصل)¹

3-4- التعجب من الدهشة إلى تعليل إنشاء الدعاء:

قال تعالى: [قتل الانسان ما أكفره] سورة عبس الآية 17.

ظاهر الآية يدلّ على قوّة إنجازيّة حرفيّة مفادها: التّعجب من الكفر وقتل الإنسان، لكن القوّة الإنجازيّة للملفوظ (ما أكفره) تجاوزت الإنكار إلى الدهشة (من كفره الشديد كمّا وكيفا ومبنى...) ²، فكان التعجب تعليلًا لإنشاء الدعاء عليه، دعاء التحقير والتهديد، لذا كان موضع التعجب في هذه الآية قد بلغ (نهاية الإنجاز وأرفع الجزالة بأسلوب غليظ دال على السخط بالغ حدّ المذمة، جامع للملامة، ولم يسمع مثلها قبلها، فهي من جوامع الكلم القرآنية)³

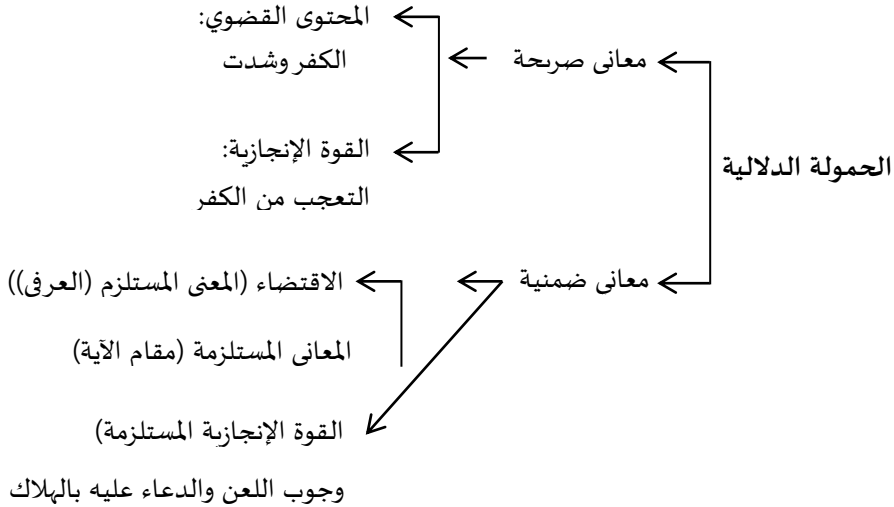
¹ محمد الطاهر بن عاشور، (1989)، تفسير التحرير والتنوير، الجزء الثاني، الكتاب الأول، الدار

التونسية للنشر، ص 125.

² المرجع نفسه، الجزء الثلاثون، ص 121.

³ المرجع نفسه، الجزء الثلاثون، ص 121.

ونخلص إلى أن الآية الكريمة التي حوت في طياتها أسلوب التعجب قد تخطت قوّتها الإنجازيّة معنى التعجب إلى وجوب اللعن لشدة التعجب: أي دعاء عليه بالهلاك واللعن.



4-4- التعجب من الانفعال الداخلي إلى إثبات صفة الكمال:

قال تعالى: [أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي] سورة الكهف الآية 26.

إن صيغتي "أبصر به وأسمع" هما صيغتا تعجب من عُموم علم الله بالغيبات، سواء أكانت مسموعة أم مبصرة، وهذا العلم لا يُشاركه فيه أحد، والضّمير في قوله: [ما لهم من دونه من ولي] يعود على المشركين الذين يتحدّث عنهم، وهو إبطال لولاية آلهتهم بطريقة النفي العام.

والمفوظ "أبصر به وأسمع" لم تقتصر قوّته الإنجازيّة على ظاهر المعنى المتمثّل في التعجب، بل تجاوزته إلى إثبات صفة الكمال لله تعالى، وهذا دليل قاطع على كمال صفات الله تعالى في السّمع والبصر.¹

¹ - المرجع نفسه، الجزء الخامس عشر، ص302.

4-5- التعجّب من الدهشة إلى التهديد:

قال تعالى: [اسمع بهم وأبصر يوم ياتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين] سورة مريم الآية 38.

نلمس ممّا يتجلّى في الظاهر معنى التعجّب بيد أن القوّة الإنجازيّة للملفوظ (اسمع بهم وأبصر) تجاوزت المعنى الحرفيّ ألا وهو التعجّب إلى معنى يستدعيه مقام الآية وهو التهديد، كما (جوّز أن يكون) (اسمع بهم وأبصر) غير مستعمل في التعجب، بل صادف أن جاء على صورة فعل التعجب، وإنّما هو على أصل وضعه أمر المخاطب غير المعين بأن يسمع ويبصر بسببهم وهذا كناية عن التهديد)¹

-الخاتمة:

التعجّب القياسيّ أسلوب بلاغيّ يندرج ضمن الإنشاء غير الطلبيّ، ويصنف ضمن مسعى "التعبيريات" وفق ما جاء به كل من أوستين وسيرل، قد يلزم التعجّب قوته الإنجازيّة الحرفيّة، إلا أنّه يتجاوزها إلى قوة إنجازيّة مستلزمة وفق ما يقتضيه المقام والسّياق، ويمكن تلخيص نتائج الدّراسة فيما يأتي:

- القوّة الإنجازيّة مفهوم محوريّ في نظريّة أفعال الكلام، و على أساسها يتمّ تصنيف الأفعال الإنجازيّة.

- برز مفهوم القوّة الإنجازيّة الحرفيّة والمستلزمة عند العلماء العرب على اختلاف مشاربهم، خصوصا في أثناء تقصّي الأغراض الفرعيّة التي تخرج إليها الأساليب البلاغيّة، حيث اقتربوا كثيرا- رغم اختلاف المصطلحات- لما جاء به "سيرل" و"أوستين" في دراستهم الأساليب الخبريّة والإنشائيّة ومعانيها الأصليّة والفرعيّة.

- تمظهر التعجّب القياسيّ في مواضع محدّدة في الخطاب القرآنيّ، لا يتجاوز أربعة مواضع هي:

- الآية (174) من سورة البقرة.

-الآية (17) من سورة عبس.

¹ - المرجع نفسه، الجزء السادس عشر، ص107.

- الآية (26) من سورة الكهف.

- الآية (38) من سورة مريم.

- تلوّن التعجب القياسي - في الخطاب القرآني - بقوى إنجازية مستلزمة متنوّعة، تتمثل في:

- تنزيل غير الواقع منزلة الواقع.

- التهديد.

- التعجب من الانفعال الداخلي إلى إثبات صفة الكمال.

- التعجب من الدهشة إلى تعليل إنشاء الدعاء.

سُلط الضوء على التعجب القياسي، وأهمّل التعجب السّماعي الذي يزخر به الخطاب القرآني والذي يتسم هو الآخر بقوة الأداء، فالأولى أن تعنى هي الأخرى بالدراسة والبحث، وضرورة تأسيس قواعد وضوابط لها؛ نظرا لكثرتها وقدرتها على التعبير على شتى الانفعالات.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

أولاً: المراجع باللغة العربية

- 1- أبو يعقوب السكاكي، (2000)، مفتاح العلوم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 2- أحمد المتوكل، (1986)، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الرباط
- 3- أحمد المتوكل، (1993)، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، دار الهلال العربية.
- 4- أحمد كروم، (2015)، مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي، ط1، كنوز المعرفة، عمان.
- 5- الاسترأبادي، (1415هـ-1995)، شرح الكافية في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 6- أوستين، (1991)، نظرية أفعال الكلام الغائية، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قنيني. دط، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.
- 7- بدوي طبانة، (1977)، معجم البلاغة العربية، ج2، ط1، منشورات كلية التربية بجامعة طرابلس.
- 8- الجرجاني، (1423هـ-2002م)، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 9- جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، (1921). لسان العرب، دار الجيل ودار لسان العرب، بيروت، لبنان، مادة "عجب".
- 10- جون ليونز، (1987) اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق.
- 11- خالد ميلاد، (2001)، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، ط1، جامعة منوبة.
- 12- سعد الدين التفتازاني (د.ت)، مختصر على تلخيص المفتاح، ضمن شروح التلخيص، ج2، عيسى البابي الحلبي، مصر.
- 13- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، (1955)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج2، ط1، دار الكتاب العربي، لبنان.
- 14- علي محمود حجي الصراف، (2010) في البرجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، ط1، مكتبة الآداب، مصر.
- 15- فضل حسن عباس، (1409هـ-1989م)، البلاغة فنونها وأفنانها. سلسلة بلاغتنا ولغتنا ، ط2، دار الفرقان، عمان، الأردن.

- 16- قطب الدّين الرّازي، (1948م)، تحرير القواعد المنطقيّة في شرح الرّسالة الشّمسية، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
- 17- محمد محمد أبو موسى. (1408هـ-1987م)، دلالات التراكيب، دراسة بلاغيّة، مكتبة وهبة، ط2، القاهرة.
- 18- محمود أحمد نحلة (2006)، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية. مصر.
- 19- مسعود صحراوي (2023)، القوى الإنجازيّة عند ج. سيرل: بنيتها ومنهج تطبيقها، مجلّة تداوليات، جامعة عمّارثليجي، الأغواط، المجلّد1، العدد 1.
- 20- محمد الطاهر بن عاشور، (1989)، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر.
- 21- مصطفى الغلاييني، (2008)، جامع الدّروس العربيّة، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان.

ثانيا : المراجع باللغة الأجنبية

- 22-John Langshaw Austain, (1970). Quand dire c'est faire. Traduction Dgille LANE. Post face de francois. Recanati. Edition du Seuil. Paris.
- 23-Searl, (1982) Sens et expression, Etudes de théorie des actes de langage, ed Minuit, Paris.